

مقدمة

تعد ظاهرة العنف من الظواهر المعقدة لأنها أصبحت ضمن اللغة اليومية، فقد نستعملها تارة لوصف شخص مات إثر حادث مرور و نقول أنه تعرض لموت عنيف للإشارة أن هذا الموت كان قاسيا و تارة أخرى ، نصف من خلالها سلوك شباب قاموا بتخريب ممتلكات الغير. و مرة نصف رجلا ضرب زوجته و ابنه و معلما عنف تلاميذه أو صديقا جرح و ذل صديقه، لهذا كلمة عنف كلمة غامضة لأنها توحى بمصطلح القوة عند استخدامها كما توحى في نفس الوقت بمصطلح الحياة؛ فهي لا تحتوي على تضمين connotation عدواني مثلما يشير إليه (Bergeret, 1985) فالمعنى القديم أعطى غموضا أكثر لهذه الكلمة، حيث منح معنى و ميلاد جديد لكلمة Bia و هي العنف (violence) و Bios و هي الحياة (vie) و بالتالي لا يمكن فصل العنف عن الحياة، و قد ميز Bergeret أيضا بين العنف الذي يحمل فكرة قوة الحياة و هي مرتبطة كقوة أساسية بتاريخ الانسان و العنف الموجه نحو الاخر و يحمل معنى الاعتداء و الإصابة، إذ يسبب خسارة على الأقل خطيرة. لهذا فإن الدراسة العلمية تستدعي دقة في المصطلحات على اعتبار وجود مفاهيم مختلفة منها ما يخص سمة الشخصية *trait de la personnalité* و أخرى تخص الوضعية *la situation* و الثالثة تخص الفعل *l'acte* أو السلوك *le comportement*. و أكثر ما يميز به العنف هو قبل كل شيء صفة الطبع الصعب لمواقف هذا الأخير و التي تحدد فقط في المواقف بين الانسانية *interpersonnelle* والمتكونة من المعتدي *l'agresseur* من جهة و الضحية *la victime* من جهة أخرى، لكن تتضمن أيضا أحداثا أين الممارس للعنف ليس حتما ظاهرا. لهذا فقد عرضت منظمة الصحة العالمية (OMS) تعريفا عاما للعنف سنة 2002 و مفاده: " أن العنف هو التهديد أو الاستخدام القسدي للقوة الجسدية أو استخدام السلطة ضد الذات، ضد الآخر أو ضد جماعة أو

مجتمعية و الذي ينجر عنه صدمة، موت، إصابات نفسية أو سوء النمو أو حرمانات". (OMS,2002,p5)

و العنف اليوم يتنامى يوما بعد يوم في كل المجتمعات خلال العقود الأخيرة و بوتيرة مخيفة تهدد أمن الفرد و المجتمع بأكمله، إذ أصبح العنف اليوم حديث الساعة و أضحى مركز العديد من المقاربات و الدراسات العلمية بمختلف التخصصات لأن أشكاله اتسعت و مظاهره نمت نموا كبيرا و آثاره امتدت إلى مختلف الأوساط الاجتماعية و الدولية.

و من بين هذه الأوساط، الوسط المدرسي الذي يعد أحد أهم الأوساط الاجتماعية لأنه يتم فيه بناء الفرد بناء جسديا، تربويا، خلقيا، معرفيا، نفسيا و اجتماعيا و تعد ظاهرة العنف بالوسط المدرسي من أهم المشكلات بمدارسنا اليوم إذ كثر الحديث عنها خاصة من طرف وسائل الإعلام، لأنها في تزايد مستمر. الأمر الذي جعل الباحثون بمختلف التخصصات من تربويين، اجتماعيين، نفسيين و حتى السياسيين يبذلون قصارى جهودهم للكشف عن أسباب هذه الظاهرة و آثارها محاولين بذلك البحث عن استراتيجيات وقائية و علاجية للحد منها.

لا يعد العنف ظاهرة جديدة بالوسط المدرسي و إنما الجديد فيها اتخاذها اشكالا و مظاهرا مقلقة أكثر فأكثر بل جد خطيرة لدرجة الإجرام و الانحراف و هذا طبعاً له آثاره السلبية تهدد الصحة العمومية بوجه عام و صحة التلاميذ بوجه خاص، كما تؤثر على المؤسسات التعليمية و تعيق أهدافها التربوية التي تساهم بالنهوض بالمجتمع ككل.

و عندما نتحدث عن العنف بالمدرسة نستحضر بأذهاننا في غالب الأحيان عنف التلاميذ و ممارستهم السلوكية التي لا تستجيب لمقتضيات النظم المدرسية. خاصة بالمتوسطات و الثانويات التي يتواجد بها تلاميذ ينتمون إلى

المرحلة العمرية التي تتراوح بين 11-18 سنة تقريبا تسمى هذه المرحلة بمرحلة المراهقة هي تلك المرحلة الحساسة التي يتسم بها المراهق بالحساسية المفرطة و الانفعال السريع، التفكير المشوش و عدم النضج، و قد يصف علماء النفس هذه المرحلة بما سموها مرحلة-أزمة لأن المراهق هنا يحاول البحث عن الهوية و الاستقلالية. و هي اشكالية اعتبرها معظم الباحثون كسبب لهذه الأزمة التي يظهر المراهق من خلالها عدوانية موجهة سواء نحو ذاته أو نحو الآخرين. و العنف مرتبط إرتباطا وثيقا بثقافة المجتمع و بمعاييره الإجتماعية و ظروفه الإقتصادية و السياسية.

و بما أن الجزائر مرت في سنوات التسعينات بمرحلة جد صعبة، مرحلة دموية سميت العشرية السوداء التي عانى فيها المجتمع الجزائري الأمرين و أصبحتنا اليوم نشاهد ظواهر دخيلة على هذا المجتمع نتيجة لما مر به هذا الأخير كالاغتداء الجنسي و تعاطي المخدرات و العنف المتجه نحو الذات كالانتحار و نحو الغير كالجريمة و غيرها من الانحرافات الخطيرة التي استهدفت بدورها المجتمع المدرسي و هذا ما زاد الأمر خطورة لتفشي مثل هذه المشاكل داخل المدرسة التي تضم شريحة الأطفال و المراهقين الذين لم يبلغوا بعد مرحلة النضج النفسي و الانفعالي و يتسمون بشخصية انقيادية و مساية للجماعة.

و بهذا أصبحت الحياة المدرسية صورة مصغرة للحياة الاجتماعية بل تشبهها إلى حد كبير في تفاعلاتها و تأثيراتها السلوكية و السوسيو-ثقافية على نفسية المتعلم (التلميذ)، إذا أصبح التلميذ داخل المدرسة يشبه ذلك الشاب المنحرف خارجها فيما يتعلق بسلوكاته اللاسوية و ردود أفعاله العنيفة و ممارسته اللإجتماعية.

و تشير بعض النظريات النفسية في هذا الصدد إلى البيئة التي إذا كانت عنيفة خارج المدرسة ستكون حتما عنيفة بداخلها، و هذا يعد نتاج الثقافة المجتمعية ذات الطابع العنيف.

و نظرا لأن ظاهرة العنف بالوسط المدرسي ظاهرة معقدة تتدخل و تتداخل بها عدة عوامل في انتاج ذلك السلوك العنيف الممارس من طرف التلاميذ هذا ما يقودنا إلى ضرورة النظر إلى هذه الظاهرة نظرة كلية تأخذ بعين الاعتبار حياة الاسرة و ظروفها و كذلك سير و تدبير المؤسسة المدرسية لأهميا خليتين اجتماعيتين تربويتين متكاملتين معا.

و قد وجدت مقاربتين أساسيتين تفسر هذا السلوك العنيف فالمقاربة الأولى ركزت تحليلها على الأفراد و محيطهم الأسري و الاجتماعي و ظروف حياتهم و عيشتهم الاقتصادي، محاولة الوقوف على جملة العوامل الكامنة وراء سلوكهم. (Blaya, 2006, p26)

أما المقاربة الثانية ركزت تحليلها على المؤسسة المدرسية ذاتها، ساعية إلى البحث و توضيح تأثيراتها في هذا الجانب. و قبل أن نبرز أهم هذه العوامل التي لها دور في ظهور سلوك التلميذ العنيف بمؤسسته، يجب أن نحدد مفهوم العنف في الوسط المدرسي و ما هي خصائصه و مستوياته ثم أهم العوامل المسببة له؟

تعريف العنف بالوسط المدرسي

العنف بالوسط المدرسي هو سلوك قصدي ممارس من طرف التلميذ و يأخذ شكل لفظي أو جسدي أو شكل تخريب الممتلكات المدرسية و يمكن أن يكون في شكل بسيط مثل عدم الانضباط او التمرد على القوانين الداخلية أو الكف عن النشاط المدرسي. و قد يكون في شكله الخطير حيث يتضمن سلوكا إجراميا و عدوانيا معا داخل المحيط المدرسي موجها نحو الأشخاص

(كالتحرش الجنسي، و العدوان ضد الأقران، التهديد بالسلاح الموجه نحو المعلمين...) أو موجهها للممتلكات كالسرقة و شب النيران بالمؤسسة، و هذا يعيق التنمية و عملية التعلم و يشكل ضرا على المناخ المدرسي، الأمر الذي يمنع المدرسة من القيام بدورها الثقافي و التعليمي و التربوي.

خصائص العنف بالوسط المدرسي

من خصائص العنف بالوسط المدرسي انيكون ظهوره على مستوى المؤسسات التي توجد بها معايير و قوانين صارمة لا تترك مجالا من الحرية للتلاميذ وأيضا على مستوى المؤسسات التي تعمالفوضى فيها و يسود بها الافراط بالتسامح. كما يجب الاخذ بعين الاعتبار الاشتغال المدرسي le fonctionnement scolaire المتبع و الذي له جزء كبير في ظهور هذه السلوكيات العنيفة و أهم هذه الاشكال ما يلي:

- العنف المضاد للمدرسة : la violence anti-scolaire و وصفه الباحثون على أن التلميذ ينقلب ضد المدرسة و العنف هنا تعبير على شكل من أشكال التصدي للنظام المدرسي.(Dumay ,1994) ، حيث يعتبر هذا الشكل من العنف مهمة التلاميذ الذين يشعرون أن المدرسة هي بمثابة تحطيم لشخصيتهم، فيتبنون عدوانا موجهها إراديا نحو هذه الأخيرة.(Baranger ,1999)

- أما العنف اللامدرسي la violence ascolaire بالمقابل فهو ليس عنفا موجهها قصديا نحو المؤسسة بل هو مرتبط بسلوك التلميذ الذي يعتبره هو نفسه كالعادي مثل الضجيج، الشجارات البسيطة، التهريج، لكن ممكن أن يدرك هذا العنف من طرف المعلمين كجرح و إصابات عمدية و عدوانية موجهة لمهنتهم و للمؤسسة وحتى لشخصهم (Baranger ,1999) .

- العنف خارجي المنشأ *la violence exogène* تعدد كفة ثالثة لكن خارج نطاق المدرسة، رغم هذا هو موجود بها (Dumay, 1999)، على اعتبار أن المدرسة مؤسسة منفتحة على المجتمع الذي توجد به نماذج من العنف التي يتقمصها التلاميذ و بالتالي يمارسونها داخل المدرسة لأنها مجتمع مصغر لذلك المجتمع الكبير. إلى جانب هذا التمييز العام لأشكال العنف يوجد العديد من المستويات و الأنواع لهذا العنف منها:

أفعال عدم التحضر *les incivilités*، عدم الانضباط *l'indiscipline*، الغياب *l'absentéisme*، أفعال التخريب *les actes de vandalisme*، الأفعال الانحرافية *les actes de délinquance*.

1- أفعال عدم التحضر هي أفعال تخلو من الأدب و التحضر منها: الضحيج، الشجار و أفعال التخريب و الشتم و هذا يساهم بشكل أو بآخر في خلق مناخ غير صحي بالحياة المدرسية. و العنف هنا يعد كنتاج لأزمة الرابط الاجتماعي *le lien social* الذي كما يقول عنه Débarbieux 1996 أنه يتضمن "الشعور بعدم الأمن" *le sentiment d'insécurité*

2- عدم الانضباط لا يرتبط على الاطلاق بعدم الطاعة *la non-obéissance* فالرفض و الامتناع عن العمل هو شكل واضح لعدم الطاعة للمعايير المدرسية اذ يعتبر كنتيجة "يسبب دائما" *cause toujours* و هذا له علاقة بعدم الاستثمار الكامل للعمل المدرسي (Defrance, 1992) مذكور في (Fischer, 2003, p56)

فالتلميذ في هذه الحالة حاضرا شكلا فقط كأنه يمر بمرحلة الشبث *l'inhibition* لكل ما هو نشاط مدرسي. و لقد كشف Charles سنة

1997 عن أربعة أنواع من الأفعال تشبه عدم الانضباط نذكرها حتى نميزها
عنه: و هي

- الافعال اللاأخلاقية les actes immoraux

- رفض الطاعة le refus d'obéissance

- اختلال النشاطات و المناخ الخاص بالعمل داخل القسم

- رفض أو محاولة الرفض للعمل.مذكور في(Fischer,2003,p68)

3-الغياب بإمكانه أيضا أن يكون شكلا من عدم الانضباط فالغياب

المتكرر و المتفاقم و الذي يصل إلى ما يفوق 40 يوما و يمكن أن يعرف

الغياب على أنه عدم الحضور المتكرر و المشبوه كما يجب أن نميز بين الغياب

كعرض l'absentéisme symptôme الذي يعد كنتيجة لمشاكل حقيقية

(مشاكل عائلية، مشاكل نفسية، عاطفية...) و الغياب الاستراتيجي

l'absentéisme stratégique الذي يرتبط بالغيابات غير المنتظمة و هي

مختارة خلال الامتحانات مثلا، و هذا الشكل الثاني يمكن اعتباره لوحده

كفعل أو سلوك غير منضبط.

4-نزعة التخريب le vandalisme دائما تصنف ضمن السلوكيات التي تخلو

من الأدب و التحضر إذ يعتبرها معظم الباحثين على أنها فعل قصدي غير

مرخص كتخريب و سرقة الممتلكات المدرسية و يوجد العديد من أنواع

التخريب من بينها:

- تخريب المطالبة vandalisme revendicatif و هو التعبير عن رفض

لشخص أو موضوع

- التخريب القانص vandalisme prédateur و الذي يحمل مكاسب مادية

- التخريب اللعيبي: vandalisme ludique يتميز بتلك اللذة التي يظهرها

الفرد حينما يقوم بتحطيم الموضوع.

و حسب بعض الباحثين يتم تحديد مفهوم فعل التخريب، كفعل عنيف عندما يكون قصدي، بمعنى يتضمن الفعل كره أو كراهية مباشرة.

5-الأفعال الانحرافية: تشبه الإجرام و المخالفات المتمثلة في السرقة، النهب و السلب، الاختطاف، تعاطي المخدرات ، الابتزاز و الاغتصاب و هذه الأشكال من العنف تعد دخيلة عن المدرسة، بل هي ممارسات اجتاحتها من خلال تلك النماذج التي تشبه كثيرا النماذج الخارجية الموجودة بالمحيط العائلي و بالمجتمع.

و أبرز المقاربات التي حاولت تفسير السلوك العنيف لدى التلاميذ هي المقاربة عن طريق عوامل الخطر التي تعد من أهم المقاربات خاصة و أنها تأخذ بعين الاعتبار عوامل الخطر منذ ولادة الشخص، بل قبل ذلك و تركز على كل مراحل نموه و تهدف إلى الكشف عن تلك العوامل الظاهرة أو الكامنة المؤدية إلى ظهور اضطرابات السلوك عنده ضمن سياق معين، و كذلك تقييم القيمة التنبؤية للتشخيص، و إن تفاعل العوامل الفردية أو المحيطة هي التي تقود إلى بروز سلوك ما و توجد اربع مجموعات كبرى لعوامل الخطر المسببة للسلوك العنيف لدى التلميذ و هي : عوامل الخطر الشخصية، عوامل الخطر العائلية ،عوامل الخطر الاجتماعية و عوامل الخطر المدرسية.

- **العوامل الشخصية:** منذ الولادة يمكن أن يتعرض الطفل إلى الخطر خلال نموه، يتعرض إلى سلوك عنيف أو يكون في ظرف عدم التكيف بالعالم الخارجي كالمدرسة و هذا كله بسبب التعقيدات قبل و بعد ولادته، كالولادة قبل أوانها طفل خديج، وزن ضعيف والتعرض لمواد سامة قبل الولادة، إدمان الوالدين على الكحول و المخدرات... صعوبات الحمل و مشاكله، كلها عوامل خطر فيزيولوجية وأخرى وراثية و نفسية و اجتماعية كلها تضع الطفل في موقف القابلية للتعرض او الهشاشة *enfant vulnérable*، و يكون

هذا مشترك مع عوامل أخرى مثل المحيط العائلي الذي تطبعه الصراعات و التي تسبب بذلك للطفل اضطرابات الحصر *anxiété* و يكون له قابلية لتطوير و نمو المشاكل النفسية كاضطرابات السلوك، الاكتئاب أو تبني السلوك العنيف أثناء وضعية مجهدة (Michaud, 1994) مذكور في (Fischer, 2003, p31)

و كما نعلم أن الذكور هم أكثر عرضة للخطر، و جنس الذكر هو في حد ذاته إحدى عوامل الخطر قد يكون المعتدي و قد يكون الضحية. كما بينت ذلك دراسة كل من Farrington et Blaya سنة 2004 أن الذكور لهم ميل كبير نحو العنف الجسدي و العدوان ضد الأقران (Bullying) و قد تم كشفهم من طرف معلمهم، و أوضحت نتائج هذه الدراسات أن هؤلاء الأكثر عرضة للخطر خلال مرحلة المراهقة حتى الرشد كونهم يتميزون منذ الطفولة بالسلوك العنيف.

و للشخص العنيف (المعتدي) خصائص نفسية و أخرى نفسية مرضية كقرط الحركة، الاندفاعية، نقص الانتباه و قد كشف العديد من الباحثين خاصة Coolidge وآخرون سنة 2004 عن خاصية نقص الانتباه التي تعد من بين العوامل الفردية الأكثر تنبؤا بالسلوكيات المنحرفة و العنيفة، و يعد الميل المبكر للسلوكيات العنيفة و المخاطر العدوانية و صعوبة التحكم في الغضب و المعتقدات و الاتجاهات المساعدة على السلوكيات المنحرفة أو المضادة للمجتمع هي كلها عوامل خطر تقود إلى العنف داخل الوسط المدرسي (Bowen et Rolond et Idsooe, 2001) مذكور في (Desbiens, 2011, p59)

كما قام باحثون آخرون بدراسات تم الكشف من خلالها عن أربعة أعراض كبرى للإشارة إلى أن هذا الطفل هو طفل معرض للخطر و هي:

- لم يدمج الطفل احترام الذات و احترام الآخرين لذا القوانين هي التي تحكم العلاقات الانسانية خلال التواصل و التفاعلات.

- له مقاومة ضعيفة للإحباط
- ليس له أنا قوي بمعنى آخر له اثبات سيء لهويته و له نقص في الثقة بالنفس.
- ليس لديه شعور كفاية بالانتماء القومي لعائلته أو لمجتمعهم (Aubert, 2001)

-العوامل العائلية

إن فكرة أن العائلة هي المحيط الأول لتعليم الطفل و تنشئته إجتماعيا تبني المحيط الاجتماعي ككل و الذي له التأثير الأكبر على تطور المشاكل السلوكية لدى هؤلاء الأطفال و المراهقين، و رغم أن أصل اضطرابات السلوك عند الاطفال ناتجة عن عدة عوامل و عن عدة سيوررات تظهر جليا في نوعية العلاقة بين الوالدين _ طفل, و لأن الوالدين هما المرجعية الأولى بالنسبة له و نموذج يتبنى من خلاله سلوكياته، إلا أن في بعض الحالات تكون العوامل العائلية تنبئ بسلوكيات مختلفة نتيجة الاسلوب التربوي المتبع سواء كان في التعلم أو التوجيه، حيث يلعب هذا الأخير دورا مهما (كعامل خطر أو عامل حماية)أما العديد من الظروف القاسية والصعبة و خاصة السوسيو اقتصادية كما بينها Débarbieux في هذا الصدد توجد نتائج أكيدة و ثابتة في الأدب العلمي و المتعلقة بتأثير الظروف المادية على تطور السلوكيات العدوانية و العنيفة مع أن معظم العلماء وضحو جيدا أن هذه السلوكيات العنيفة لا تخص فئة اجتماعية معينة، و رغم أن العامل السوسيو-اقتصادي يعد من بين العوامل التي تشترك مع عوامل الخطر الأخرى سواء كانت ذات طبيعة نفسية أو اجتماعية كما تضم أيضا عوامل السوسيو سياسية و الثقافية، دون إهمال أهمية الأبعاد المجتمعية les sociétales dimensions التي تعد ضمن السيوررات المشتركة في ظهور هذه

السلوكيات العنيفة عند الطفل. و عندما نحدد ظروف الحياة العامة للعائلة و المجتمع، فإن المحددات التي لها أكثر أهمية هي الرعاية و الممارسات الوالدية.، كنقص رقابة الوالدين، الغموض بالأدوار العائلية (والدين أصدقاء أو إهمال أو تسلط) غياب قواعد تربية واضحة، أساليب المعاملة الوالدية غير الثابتة، نقص الاتصال و كل هذا يعد من العوامل التي لها قابلية في حدوث السلوكيات العنيفة عند الطفل و كما وضح (OSborne,2004) أن الأطفال الممارس عليهم العنف هم أكثر عرضة لأن يكونوا عنيفين مستقبلا (ميكانيزم تقمص المعتدي)من الأطفال الآخرين. و بين بعض الباحثين و منهم Farrington سنة 1991 العلاقة الطردية بين الصراعات العائلية و المتمثلة في(الشجارات على مستوى العائلة، السب و الشتم أو الصراخ) و الانحراف و على العكس أن المحيط العائلي المفرط الحماية يقود إلى الاستعداد أن يكون الطفل ضحية و ليس معتدي و خاصة المذكور. (Débarbieux,2001,p42)

و حسب ما بينه Schwartz و آخرون سنة 2000، أن أساليب الوالدية العقابية و الصلبة بإمكانها أن تجعل من الطفل ضحية بالمدرسة مع اشتراك عامل آخر و هو نقص الأصدقاء بالمحيط المدرسي. كما أن الكحول و المخدرات و اشتراك الوالدين ضمن نشاطات لا شرعية تعد من عوامل الخطر و كذا اكتئاب الأم يرفع من درجة الخطر في تطوير السلوكيات الاجتماعية غير المقبولة و يزيد من خطورة ظهور المشاكل النفسية لدى الطفل (Brennanet al,2003) كفرط الحركة و الانحراف و العنف و هذا عند الذكور أما الاناث فيصبح لهن ميل أكثر نحو تطوير السلوكيات الانتحارية و التجسمن la somatisation في نفس الوقت، علاقة غير آمنة une relation insécure أو غير متوازنة déséquilibrée مع الأم بإمكانها أن تولد قلق الانفصال أو ضعف في نمو الكفاءات الاجتماعية و أيضا

تشجيع الطفل على الاستعداد أن يكون ضحية أو تطوير السلوكيات العدوانية خاصة عند الذكور (Colin, 1990) و رغم أن بعض الأطفال هم في خطر منذ ولادتهم و هذا يظهر لديهم اختلالات سلوكية بسبب قابليتهم للتعرض و التي مصدرها في زيولوجي، وهذه الهشاشة vulnérabilité كافية كسبب لظهور أسلوب السلوك العنيف دائم و مثبت بشخصية الطفل (Desbiens, Bowen, Rondeau, 2000) المذكور في (Bowen et Desbiens, 2011, p64)

تعد علاقة الطفل بوالديه كمحرك لنموه، لهذا فإن السلوكيات العنيفة والعدوانية هي نتاج لتفاعل ثابت و دائم و معقد بين الفرد و محيطه الفيزيائي و الاجتماعي (Dumas, 2007). لذا عوامل الخطر المرتبطة بالعائلة و ببعض أبعاد المحيط العائلي لها الدور الهام في ظهور هذه السلوكيات العنيفة.

-العوامل الاجتماعية

إن عوامل الخطر الاجتماعية كإجهادات الحياة اليومية، الفقر، الاحباطات بامكانها زيادة المخاطر سواء كانت نفسية أو اجتماعية للأشخاص الذين يعيشونها خاصة المراهقين و الأطفال.

إن العيش داخل حي معرض للعنف (و هذا غالبا له علاقة مع مستوى الفقر) بامكانه أن يسهل المرور إلى الفعل العنيف جراء الحصول على الاسلحة و المخدرات بسهولة.، كما أن الفوضى التي يعيشها الأطفال في مثل هذه الأحياء هي التي توحى لهم بالشعور بالأمن و نقص الحماية من طرف سكان الحي و هذا ما يجعل قابليتهم للتعرض تزداد. كما ينمو لديهم الشعور بالمحرج sentiment d'abandon من خلال ما يعاينه الحي من هشاشة في السكن، نقص الخدمات العمومية وكل هذا يصعد من الضغوطات اليومية (Débarbieux et al , 2003)

و عندما نتكلم عن الحي و الأقران و الجيران فإننا لا نستثني المدرسة التي تعد هي الاخرى مؤسسة تربوية و اجتماعية تأخذ مزايا المجتمع الكبير فالعائلة و المدرسة و المجتمع ككل هي مؤسسات يعيش بها الطفل تؤثر على نموه سلبا أو إيجابا و على صحته و صحة عائلته (Allès-Jard et al,2009) .

-العوامل المدرسية:

إن المدرسة هي انعكاس لما يحدث بالمجتمع الخارجي و الشعور باللاأمنو العنف لا يتوقفان عند مدخل المدرسة ، بل يخترقان أبوابها و إذا كانت هذه المؤسسة التربوية في السابق تساهم في حماية و أمن الأشخاص فإنها اليوم أصبحت بإمكانها صنع العنف نتيجة سوء التسيير و الفوضى التي عمت بها أو نتيجة القوانين الصارمة، و كما لاحظنا سابقا أن السلوكيات العنيفة التي نشهدها اليوم داخل مدارسنا هي تضافر عوامل الخطر العائلية و الفردية والاجتماعية و باعتبار ان المدرسة هي مكان للتنشئة الاجتماعية أيضا ومهمة جدا بالنسبة للطفل الذي سيجد نماذج على مستوى أقرانه و أيضا على مستوى الراشدين،

بعض الخصائص و المعطيات المدرسية المشتركة لها علاقة بالعنف المعاش داخل المجتمع التربوي، كغياب النظام أو قوانين واضحة و متماسكة، شعور التلاميذ باللاعدل فيما يتعلق بنظام العقوبات و هذا يعد كعامل مهم و مساهم في مناخ مدرسي سلبي و عدواني (Blaya,2001) حيث يساهم بشكل كبير في تطوير السلوكات العنيفة و المنحرفة (Funk;2001) كالغياب، الوقاحة، السلوكيات التخريبية. كما وضع Debarbieux (2003) أنه مهما أثبت معظم الباحثين أن تأثير الخصائص الاجتماعية - الاقتصادية و مساهمتها في ظهور العنف بالمحيط المدرسي ، غير أن البعض الاخر أثبت أن بعض المدارس تقع بأحياء محرومة و غير لائقة لكن نتائجها الدراسية جيدة ، اذا تكلمنا بلغة المؤشرات للمناخ المدرسي الذي يكون أفضل

من المدارس التي تقع بأحياء راقية و لائقة لان هذه المدارس و بكل بساطة تتكون من مجموعات ملتحمة تعمل بطريقة المخططات ، تتدخل في حالة وجود مشكل و من خلال القوانين الداخلية العادلة تقلص من احتمال شعور بعض المعتدين بعدم معاقبتهم و بالتالي يتم خفض نشاطهم العنيف، و الأمر هنا يتعلق بتعديل نظام تسيير الحياة المشتركة المبني على السلطوية¹ و autoritarisme و العقاب la punition لأن هذا يولد العداوة و الكره و يساهم في بناء ثقافة المعارضة (Taylor-Greene et al,1997) , إن الثقافة التي تتسم بالمشاركة تتميز بالنجاح فهي تتمحور أساسا حول الاجازات الايجابية كالتشجيع و التقديرات و هذا له الأثر الايجابي على التلاميذ. و قد أشار (olweus(1993 بأن تسيير الانضباط الذي يعد أكثر فعالية خاصة عندما نشرك التلاميذ بسيرورات البناء لما هو مقبول من معايير و قواعد تساهم في السير الجيد لمؤسستهم و المناخ المدرسي الافضل للجميع.

كما لا ننسى أن العوامل الفيزيكية كشكل البناية للمؤسسة و تهيئتها هي من العوامل المؤثرة في ظهور مشاكل السلوك لدى التلميذ إذ بين في هذا الصدد كل من Grisay سنة (1993) و Debarbieux سنة (1996) أن العدد المرتفع للتلاميذ بالمدرسة يؤثر سلبا على المناخ المدرسي le climat scolaire أما Blaya لاحظت من خلالدراستها المقارنة سنة (2001) بين المؤسسات المحرومة (غير اللائقة) بفرنسا و إنجلترا التي تتعلق بمساحة المؤسسة حيث اسفرت النتائج بان مساحة المؤسسة كان له تأثيرا سلبيا بفرنساو بدرجة أكبر من تأثيره بإنجلترا و هذا ما يقودنا إلى التفكير بأن المتغيرات كالعامل في فريق مهم جدا. و الفرق التربوية الأكثر التحاما و الأكثر مبادرة بسياسات و استراتيجيات بهدف التصدي للعنف بالمدرسة التيقترحها هذه الفرق رغم

بعض الظروف الصعبة التي تعاني منها هذه المؤسسات يعد بمثابة عامل حماية *facteur de protection* و بالتالي يمنع التأثير على المناخ العام المدرسة. فيما سبق كان للمؤسسة عدة مداخل ، بنايات منفصلة و مساحات للراحة متعددة و منقسمة و هذا يتيح فرصة أكثر لعدم النظام و الفوضى و كثرة التخريب عكس المؤسسة ذات المساحة الصغيرة. (Felson,1994)

إضافة الى استقبال العدد الهائل من التلاميذ إذ يسود هذا المناخ نوع من العلاقات التي تتميز بأقل فردانية *Individualisérelations* moins سواء كان على مستوى التلاميذ أو الراشدين الآخرين داخل المؤسسة و هذا سيعرقل نمو الشعور بالانتماء و الاستثمار بالمدرسة. شعور يقيم بالإجماع كعنصر مهم بالمناخ المدرسي الايجابي دون عنف، (Gottfredson,2001). أما الاستثمار الشخصي الضعيف للتلميذ بالمؤسسة و نقص مشاركته بالنشاطات الخارجية *extra-curriculaire* تعد كمؤشرات للمشاحنات المدرسية و للعنف (Blaya. 2001).

كما تعد الصراعات بين الراشدين من العوامل أيضا في ظهور الفوضى و العنف بالمدرسة نتيجة لإهمال مهامهم كمرقبة التلاميذ و متابعتهم، و كشفت عدة دراسات بأن الشعور المفرط بالأمن للطاقت التربوي له تأثير سلبي على النتائج الأكاديمية للتلاميذ (Vettenburg. 2002)، إضافة إلى ضعف العلاقات بين الزملاء و الاجهاد بالعمل يمكن أن يؤدي الى الاحتراق النفسي او الارهاق المهني *burnout*. و هذا له الأثر السلبي على فعالية وأداء الطاقم التربوي لمهامه، إذ يصبح هذا من بين العوامل المؤثرة على الابداع في التصدي امام مشاكل العنف بالمدرسة و ذلك بخلق استراتيجيات وقائية وعلاجية لهذه الظاهرة.

اضافة الى ما سبق ذكره من عوامل الخطر نذكر ايضاهم مكان بالمؤسسة والذي يعد كإطار هام بالنسبة للتلميذ ألا و هو القسم *la classe* و الذي له

تأثير كبير على المناخ العام بداخله، فممكّن أن يكون مصدر الإهانات يومية سواء من طرف المعلمين أو التلاميذ أنفسهم. و هذا قد يقود التلميذ إلى الفشل الدراسي الذي يعد هو الآخر أحد عوامل الخطر المهمة جدا في تطوير الثقافة المضادة للدراسة *la culture anti-scolaire* كما يساهم في خلق اتجاهات سلبية نحو المعلمين و هذا مرتبط بمستويات العنف ذات الدرجات العالية (Hawkins et al ,2000).

اما التلاميذ الذين يعانون من صعوبات التعلم و نتائجهم ضعيفة، لهم قابلية أن يكونوا ضحايا أكثر من الآخرين أما الذين لهم تجربة و خبرة سلبية يعيشون أكثر بضغوطات و لا يشعرون باللذة داخل محيطهم المدرسي، لهم علاقات سلبية مع أساتذتهم إضافة للنتائج الدراسية الضعيفة و بالتالي فهم معرضون للخطر باللجوء إلى السلوكيات العنيفة و سلبية أكثر من باقي أقرانهم (Agnew,2000).

فالمدرسة التي ليس بإمكانها أن تخلق الشعور بالنجاح و تقييم التعلم و الاستثمار فيه و بناء تعلق قوي بالنسبة للتلاميذ إزاء مؤسستهم، فإنها تصبح غير قادرة على مواجهة مجموعات التلاميذ المنحرفة و هذا يسهل على هؤلاء التقييم الذاتي عن طريق أساليب غير مناسبة كانتهاج السلوك اللااجتماعي أو العنيف أو المنحرف. (Doudin,2011,p24)

على العكس فإن المؤسسات التي نجحت في تطوير معنى الانتماء و تقييم التعلم و قد وصلت إلى الحصول على مؤشرات أو معطيات تنبئ بالاتجاهات العنيفة عند التلاميذ مبكرا (كشفهم معلمهم في سن 10-11 سنة) على أنهم معرضون إلى أن يطوروا سلوكيات عنيفة في سن المراهقة (O ,Donnell et al ,1995). كما ان ثبات هذه السلوكيات، استمرارها وتكرارها يقود التلاميذ الذين يظهرون عوامل الخطر الى سلوكيات اخطر كالإجرام و

عوامل الخطر ومساهمتها في ظهور السلوك العنيف لدى
المراهقين بالوسط المدرسي

الانحراف و هذا طبعاً له آثاره السلبية تهدد صحة التلاميذ بوجه خاص،
كما تؤثر على عائلاتهم بوجه عام بالاجتمع ككل.

الخاتمة

و نستخلص مما سبق أن العنف بالوسط المدرسي مرتبط ارتباطا وثيقا بثقافة المجتمع، و لأن مجتمعنا اليوم يعاني من تفكك و انحلال لبعض من مبادئه نتيجة عوامل دخيلة كالعشرية الدموية التي أثرت تأثيرا سلبيا على هذا المجتمع خاصة من الجانب النفسي،ها نحن نشهد اليوم مجتمعا مريضا مصدوما، يعاني من الكثير من الأمراض النفسية والنفسية- الجسدية، يعاني من الانحرافات، الادمانات، كما لا ننسى التطور التكنولوجي والعولمة الذي أثر هو الآخر و بشكل سلبي على مبادئ و أفكار و قيم الافراد و أصبح من العوامل الخطيرة جدا في ظهور السلوكيات العنيفة و المنحرفة نتيجة سوء الاستخدام لهذه التكنولوجيات الحديثة، كتقليد الأطفال و المراهقين لما جاء بالبرامج و الألعاب المقدمة و التي توحى بالعنف بجميع أشكاله، و نظرا لتباعد وجهات النظر بين الجيلين (جيل الاجداد و الاباء) و جيل الشباب من جهة أخرى هذا ما ولد صراع قوي بين هذين الجيلين أين فقد الاباء السيطرة على انفعالهم و عواطفهم و انقادوا وراء الاستجابات العنيفة التي ولدت هي ايضا استجابات مماثلة لدى الشباب و المراهقين. و لأن الراشدين الذين يعتبرون كأولياء و مربين في كل الأوساط الخاصة بالتنشئة الاجتماعية لم يدركوا احتياجات و خصائص مرحلة الطفولة و المراهقة، فإنهم لن ينجحوا في كيفية التعامل معهم.

و نظرا أيضا لغياب نموذج للراشد الذي يقتدي به الطفل و المراهق بالبيت، بالمدرسة و بالحى.... هذا ما صعب على الباحثين الاحاطة بمفاهيم حقيقية لأجل تحديد دقيق للعنف و بالتالي تحديد عوامله و أخيرا الوصول إلى الحد منه.

المراجع

- 1- Blaya,C.,(2006).violences et maltraitances en milieu scolaire, Armand Colin,Paris.
- 2- Bowen,F.,etDesbiens,N.,(2011).la violence chez l'enfant :approches cognitive ,développementale ,neurobiologique et sociale, Solal ,Paris.
- 3- Débarbieux,E.,(2001).la violence en milieu scolaire, état des lieux,3 édition ,ESF ,Paris.
- 4- Doudin,P-A .,(2011),la santé psychosociale des élèves .P.U.Québec. Canada.
- 5- Fischer ,G-N. ,(2003) .psychologie des violences sociales ,Dunod,Paris.
- 6- Gaillard,B.,(2005).les violences en milieu scolaire et éducatif :connaître ,prévenir ,intervenir ,PUR,Paris.
- 7- Pain, J.,(2006) .l'école et ses violences ,éd Economica ,Paris.
- 8- Organisation mondiale de la santé. (2002) .Rapport mondial sur la violence et la santé.sous la direction de Krug,E ,Dahlberg,L,Mercy,J,etal,Genève .